**المعايير النقدية عند ابن سلام الجمحي**

يبدو لنا من خلال النظر في الحجج التي ساقها ابن سالم عند تقديمه كل شاعر أن أهم الأسس الجمالية التي جرى على أساسها الاختيار والتقسيم هي الآتية:

**.1ابتكار موضوعات وأساليب جديدة:** بمعنى أن يسبق الشاعر إلى معان وأفكار جديدة، وإلىطرائق في التعبير غير معهودة. وهذا هو الأساس الذي بني عليه تقديم امرئ القيس. قال ابن سالم: "فاحتج امرئ القيس من يقدمه قال: ما قال ما لم يقولوا، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها، واستحسنتها العرب واتبعه فيها الشعراء: استيقاف صحبه، والتبكاء في الديار، ورقّة النسيب، وقرب المأخذ، وشبّه النساء بالظباء والبيض، وشبّه الخيل بالعقبان والعصي وقيد

الأوابد، وأجاد في التشبيه، وفصل بين التشبيه وبين المعنى".

**.2جودة التشبيه و الوصف :**

وهو أساس اعتمد عليه ابن سالم في عملية التفضيل، وهو المقياس الذي سيغدو أحد أركان عمود الشعر. فبوحيٍ من هذا المقياس قدم امرؤ القيس، إذ كان من مظاهر شاعريته جودة تشبيهاته. قال ابن سلام: "واستحسن الناس من تشبيه امرئ القيس:

**كأن قلوب الطيرِّ رطبا ويابسا لدى وكرها العُنّاب والحَشَفُ البالي**

وقوله:

**كأني بفتخاء الجناحين لَقْوةٌ دفوفٌ من العقبان طأطأتُ شملالُ**

**3.جودة الديباجة وكثرة الماء والرونق:**

كثيرا ما استعمل العرب كلمتي الديباج والرونق للتعبير عن عذوبة الشعر وطلاوته لفظا ومعنى، وارتياح النفس إليه واستئناسها به؛ فالديباج ثوب ناعم جيد من الحرير والإبريسم، ورونق الشيء ماؤه وحسنه وإشراقه. وعلى هذا فإن الشعر الذي يوصف بأنه كثير الماء والرونق، هو شعر "يبعث في النفس إحساسا يشبه إحساس من يبصر رونق السيف والضحى ونضارة الشباب وإشراقه." وهذا هو الأساس الذي بُني عليه تفضيل النابغة. قال ابن سالم: "وقال من احتج للنابغة: كان أحسنهم ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتا. كأن شعره كلام ليس فيه تكلف". وهو ما يدل على قوة الطبع والتمكن من أسباب الصنعة.

**4.الحصاف:** "تعني الحصافة جودة الرأي وإحكامه وسداده. وتعني في الشعر أن تكون معانيه حكيمة دالة". وقد رأى بعضهم شيئا من هذا في شعر زهير فانتصر له لهذا السبب قال ابن سلام: "وقال أهل النظر: كان زهير أحصفهم شعرا، وأبعدهم من سخف.".

**5.النظم على الأبحر المختلفة:** وهو معيار نوعي وكمي يحمَد للشاعر قدرته على النظم في الأغراض المختلفة؛ وهو ما يوفر لشعره ثراء موسيقيا وقدرة على معالجة أغراض كثيرة. وقد كان هذا أحد الأسس التي فُضّل لأجلها الأعشى. فقد قال ابن سلام إن من قدّم الأعشى احتج له بأنه "أكثرهم عروضا، وأذهبهم في فنون الشعر، وأكثرهم طويلة جيدة، وأكثرهم مدحا وهجاء وفخرا ووصفا". وقد سماه معاوية بسبب هذه الموسيقية العالية "صنّاجة العرب".

**6.النظم في الأغراض المختلفة:** يوشك النقد العربي أن يُجمع على تفضيل الشاعرالذي ينظم في الأغراض المختلفة على شاعر الغرض الواحد أو الغرضين. وعلى هذا الأساس فضل جرير. قال بشّار العقيلي: "كان جرير يحسن ضروبا من الشعر لا يحسنها الفرزدق." وعلى هذا الأساس كذلك جٌعل كُثيّر في الطيقة الثانية من الشعراء الإسلاميين، بينما أُخّر جميل إلى الطبقة السادسة مع أنه أقوة منه غزلا وأصدق صبابة. قال ابن سلام: "وكان ل لكُثيّرفي التشبيب نصيب وافر، وجميل مقدّم عليه في النسيب وله في فنون الشعر ما ليس لجميل، وكان جميل صادق الصبابة. وكان كثيّر يتقول ولم يكن عاشقا".

**7.الإجادة في أغراض خاصة:** في الشعر أغراض لها في اهتمام العرب مقام خاص؛ فهي لذلك أدلّ على الفحولة من غيرها. فالشاعر الذي يقول في تلك الأغراض ويجيد القول يحظى بمزيد تقدير، ويُقدّم على الشعراء الذين لا يجيدون في تلك الأغراض. قال ابن سلام: "وسألت الأسيدي عنهما) يعني جريرا والفرزدق( فقال: بيوت الشعر أربعة: فخر ومديح ونسيب وهجاء؛ وفي كلها غلب جرير." وقال: "قال أصحاب الأعشى: الأعشى هو أكثرهم عروضا، وأذهبهم في فنون الشعر، وأكثرهم مدحا وهجاء وفخرا ووصفا، كل ذلك عنده."

**8.استقصاء المعنى وبلوغ الغرض:** وهو الذهاب في المعنى الذي يأخذه الشاعر والغرض الذي يتناوله إلى حد من القوة والاستقصاء يؤدي إلى بلوغ الغرض من الإيجاع الشديد للمهجو في حال الهجاء، ومن إصابة الصورة الكاملة المُعجبة في حال المديح. يقول ابن سلام: "ولقد هجا الراعي فأوجع. قال لابن الرقاع العاملي:

**لو كنتَ من أحدٍ يُهجى هجوتُكُمُ يا ابن الرقاع، ولكن لستَ من أحدّ**

**تأبى قضاعةُ أن تعرف لكم نسَبا وابنا نزارٍ، فأنتم بيضة البلدِّ ِ**

ويقول عن كُثيّر: "ورأيتُ ابن أبي حفصة يعجبه مذهبه في المديح جدا. يقول: كان يستقصي المديح."

**9.كثرة الجياد الطوال** وهو مقياس معتبر في النقد العربي، يدل عليه قول ابن سلام عمن انتصر للأعشى: "وأكثرهم طويلةً جيدة". ويتجلى أكثر في قوله عن الأسود بن يعفر النهشلي: "وكان الأسود شاعرا فحلا. وكان يكثر التنقل في العرب يحاورهم، فيذم ويمدح، وله في ذلك أشعار. وله واحدة رائعة طويلة لاحقة بأجود الشعر، لو كان شفعها بمثلها قدمناه على مرتبته، وهي:

**نامَ الخليُّ وما أحُسُّ رُقادي والهمُّ محتضر لديَّ وسادي**

**10 .القصيدة الواحدة المتفوقة:** جعل ابن سلام الواحدة المتميزة في الطبقة السادسة من طبقات الجاهليين. يقول: "أربعة رهط، لكل واحد منهم واحدة. وهؤلاء الأربعة هم: عمرو بن كلثوم، وله قصيدته التي أولها:

**ألا هبّي بصحنك فاصبحينا**

والحارث بن حلزّة اليشكري، وله قصيدته التي يقول فيها:

**آذنتنا ببينها أسماءُ**

وعنترة بن شدّاد العبسي، وله قصيدته التي يقول فيها:

**يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي**

وسويد بن كاهل اليشكري، وله قصيدته التي أولها:

**بسَطَتْ رابِّعةُ الحبلَ لنا فبَسَطنا الحبلَ منها فانقطعْ**

وقبل هذا قيل عن طرفة: "فأما طرفة فأشعر الناس واحدةً، وهي قوله:

**لخولةَ أطلالٌ ببرقةِّ ثهمدِّ وقفتُ بها أبكي وأبكي إلى الغدِّ**

وتليها أخرى مثلُها وهي:

**أصحوتَ اليومَ أم شاقَكَ هِّرّْ ومن الحبِّ جنونٌ مستعِّرْ "**

وقد جعله ابن سلام في الطبقة الرابعة.

فهذه أهم المقاييس التي اعتمدها ابن سلام في ترتيب الشعراء الجاهليين والإسلاميين في طبقات الفحول من الشعراء. وقد ظلت رصيدا نقديا يستقي منه النقاد اللاحقون بعض مادتهم النقدية وبعض معاييرهم في نقد الشعر؛ فكان لابن سلام في ذلك فضل السبق والتأسيس والتأليف المنهجي لما تفرق من ملاحظات النقاد في عصره.